

## أنواع الشرك:

- وشرك الأمم كله نوعان:-
- شرك في الإلهية.
- وشرك في الربوبية.

فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك:

- وهو شرك عباد الأصنام.
- وعباد الملائكة.
- وعباد الجن.

وعباد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفي، ويشفعوا لنا عنده، وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم: قربٌ وكراهةٌ، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفي لمن يخدم أعون الملك وأقاربه وخاصّته.

## الشرك في توحيد الأسماء والصفات:

- المصنف قد أفرد كتابه في توحيد الربوبية والألوهية، لم يتعرض لتوحيد الصفات، وفي توحيد الأسماء والصفات شرك يقع فيه بعض الناس، ولا سيّما أولئك الذين يعتقدون أن الله ذات مجردة عن الصفات وهذا شرك وأمر خطير وتعطيل عظيم.
- فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه فقد أجرم، والأشد منه أن تجرد الله تعالى عن جميع أسمائه وصفاته، فالذات من غير صفات إنما هي في الداخل وليس في الخارج:

{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا} أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ {إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، فمن وصف شخصاً بعلم كعلم الله، فقد أشرك في توحيد الصفات، وكذلك من وصف لرجل مخلوق قدرة الله تعالى، فهو كذلك مشرك في توحيد الصفات.

## أهمية معرفة الشرك:

• والعاقل لابد أن يعرف الحق بالتفصيل، وأن يعرف الباطل بالتفصيل، وعلى رأس الباطل وأظهره وأشدّه الشرك بالله:

- ولذا كان النبي ﷺ يقرأ في سنة الفجر، وفي سنة المغرب في الركعة الأولى:{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} يتبرأ من الشرك، ويقرأ في السورة الثانية:{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، لكي يحقق التوحيد، والله تعالى يقول:{فَمَن يَكْفُرْ بِالْطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}.

- وشعار الموحد: (لا إله) نفي جنس، ثم إثبات: (إلا الله)، ورحم الله عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- لما قال: "إنما تُنقض عُرى الإسلام عروة عروة فيمن نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية"، فالصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- كانوا أقوم الناس، فيعرفون الشرك الذي بين ظهاريهما، وكأنوا يعرفونه مفصلاً ليجتنبوه، كما أنهم يعرفون التوحيد مفصلاً ليعتقدواه، فالشرك من أعظم الذنوب.

## الفرق بين وصف الوعيد وإنزال أحكامه:

- من المقرر عند علماء أهل السنة:
  - أن ليس كل من وقع في الشرك مشركا.
  - كما أن ليس كل من وقع في الفسق فاسقا.
  - كما أن ليس كل من وقع في البدعة مبتدا.
  - فعلى رأس الذنوب وأكبرها الشرك.
  - حتى أن الشرك الأصغر وما يسمى بالشرك اللغظي، وما يسمى بالشرك الفعلي.

## خطورة الشرك:

- فكل شرك مقرر في الشرع فهو من الكبائر، كل ما ورد على أنه شرك فهو من كبائر الذنوب عند الله.
- وكما أن التوحيد حق خالص لله تعالى، فإن الشرك نقيضه، وبالتالي الله يغضب على المشركين، والله لا يغفر للمشركين كما قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ}.
- فالله يغفر كل ذنب، وهو معلق بالمشيئة إلا الشرك فإن الله لا يغفر الشرك، العبد إن نازعته بما هو خاص به كالسلطان الذي له حق السمع والطاعة، إن نازعته وصرفت هذا الحق، وجعلته لغيره فإنه يغضب، لأن هذه الميزة وهذه الخاصية خاصة به.
- فكذلك التوحيد فهو حق خالص لله، والله تعالى يغضب من ذلك.

## خطورة الشرك:

• وفي الشرك كذلك يتضمن غاية المعاندة، فالمسرك معاند لله، وأخبر الله في كتابه:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.

- قال غير واحد من المفسرين: "إلا ليوحدون"، فالمسرك مضاد لله، والشرك غاية الظلم، وهذا الظلم الذي فيه غاية، فيه تشبيه لل كامل الذي هو، غني من كل وجه، وفيه تشبيه الغني من كل وجه بالفقير من كل وجه.

- ولذا كان ظلماً كما قال الله :{إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}، وقال الله: {وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}، فالمسرك ضال، وليس ضالاً فقط إنما هو ضال ضلال بعيدا، لا يرجى منه خير، ولا يرجى منه أن يؤوب وينوب، إلا إن وحد ونطق بالشهادتين.

## خطورة الشرك:

- فالشرك ظلم، بل ظلمات، ومن جرائم الشرك ثلاثة أمور:
  - **الأمر الأول:** هو الذنب الذي لا يغفر، كما ذكرنا من قول الله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ}.
  - **الأمر الثاني:** أن الشرك محبط للأعمال، المشرك مهما فعل من الطاعات، والعبادات إذا صحب هذه الطاعات والعبادات الشرك، فهو يحيطها كما قال الله: {وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَخْبَطَنَّ عَمَلَكَ}، فالشرك يحيط العمل والشرك موجب للخلود في النار، من لقي الله مشركاً شركاً أكبر، فهو خالد مخلد في النار، {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أُواهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}.

## شرك الربوبية:

- **الشرك في الربوبية:** بأن يجعل الله تعالى شريكاً في أفعاله الخاصة به، مثل:(الإحياء، الإمامة، تدبير الكون).
- بعض الناس يعتقد أن هنالك أشخاص يُسمون بالأقطاب، والأقطاب أربعة، والأربعة يتبدلون، وإن مات شخص يأتي شخص آخر، هؤلاء هم الذين يرزقون، وهم الذين يدّبرون الكون، وهم الذين يفعلون كل شيء.
- أنا لا أتكلم عن لفظة "الأقطاب" وهل هي ثابتة أم لا، وهل ورد فيها حديث صحيح أم لا؟ أنا أتكلم عن عقيدة تقول: أن هنالك أشخاص أربعة هم الذين يدّبرون الكون، والله ليس مدبراً للكون، وهم الذين يرزقون، والله ليس برازق، فهؤلاء مشركون شرك ربوبية، هذا كله من خواص الله جل في علاه، فالشرك أن تعتقد من يشارك الله تعالى في هذه الخاصية.

## شرك الألوهية:

- الغالب من الشرك وهو المعروف قديماً وحديثاً إنما هو شرك الألوهية، وليس الشرك في الربوبية، لأن الفطر السليمة والقول المستقيمة تعتقد أن الله حق، وأنه هو المحيي، وهو المميت، وهو الذي يدبر الكون، وإنما يشتركون معه غيره في العبادة.
- **والعبادة:** جميع الأقوال والأفعال التي يتقرب بها العبد إلى الله سواء كانت ظاهرة أم باطنة.
- فإن تتقرب إلى الله تعالى بلون من ألوان العبادة لغير الله، فهذا شرك معه سبحانه، أن تستغيث بغير الله، أن تُنذر لغير الله، أن تذبح لغير الله، أن تسجد لغير الله، أن ترهب وأن ترغب شخصاً ما، ويسيطر عليك في حياتك فهذه الرغبة، وهذه الرهبة التي تؤثر على حياتك فعلاً وتركاً، فهذا كله خاص بالله، لكن هذا لا ينفي الحب والخوف الفطري.

## شرك الألوهية:

• مثال: موسى ، قال:{فَرَأَتُ مِنْكُمْ لَمَّا  
خِفْتُكُمْ} ، الخوف الطبيعي والحب الطبيعي  
أمر طبيعي.

- لكن أن يسيطر عليك خوف، وأن يسيطر  
عليك رغبة، وأن تسقط عليك رهبة، وأن  
تؤثر في حياتك في الفعل والترك، أن ترك  
ما يحب الله من أجل هذه السيطرة، فهذا  
أمر ينبغي أن يكون خاصاً لله.

- ولذا قال المصنف -رحمه الله-: "فالشرك  
في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل  
الإشراك".

## شرك الألوهية:

- كثير من الناس يعتقد أن الشرك خصوصاً شرك الألوهية هو عبادة الأصنام! النبي لما سمع رجل يقول: ما شاء الله وشئت، قال: "أجعلتني لله ندا"!، لماذا نذهب بعيداً والله يقول: {وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَّأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، من اتخذ الملائكة، والنبيين أرباباً هذا كفر.
- فالأحكام تتعلق بالكتاب والسنة، ولا تتعلق بالأهواء، بعض الناس يعتقد أن الأولياء والمشايخ بعد وفاتهم ينفعونه أكثر من نفعهم في حياتهم، يقولون: "شبر تراب بيني وبين تلاميذي يحجبني أن أنفعهم وأن أضرهم!"، ولذا يخافون، إن حلف بالله لا يبالي، أما إن حلف باسم شيخه يخاف، ويسيطر عليه الخوف، ويعتقدون أن المشايخ يعملون على إنقاذ الناس، ويتنقلون في الطرقات، وهم موجودون، ينقذون السفينة التي تغرق والإنسان، فهذا التعظيم والإطراء الذي نهى عنه النبي ﷺ مدخل عظيم لدخول الأمة في الشرك من خلال الأنبياء، أو من خلال الصلحاء الإحياء منهم والأموات.

## الرسل اهتموا بالألوهية أكثر من الربوبية:

- أغلب الخلق إنما أشركوا في توحيد الألوهية، ولذا بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، لكي يعبدوه ولكي يوحدوه، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله- في عقیدته المشهورة: "وبعث الله النبيين إليه داعين، وبه معرفين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين".
- بعث الله الرسل إليه داعين وبه معرفين، ونحن لا نعرف ربنا إلا من خلال رسالته، عقولنا استقلالاً لا تعرف الله معرفة تفصيلية، ولا تعرف الشرك معرفة تفصيلية، وإنما الذي يأتينا بهذه الأخبار إنما هم الأنبياء، {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.
- لما نَزَّهَ الله تعالى نفسه، أثني على أنبيائه ورسله فقال: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}، ما هو سر الثناء على الأنبياء بعد أن نَزَّهَ الله تعالى نفسه، لأنهم هم الذين يعرفون الله، وإنما يعرفون الله من الوحي الذي أنزله الله عليهم، ولذا قال: "عباد الأصنام، وعباد الملائكة، وعباد الجن، وعباد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات".

## الرسل اهتموا بالألوهية أكثر من الربوبية:

- الشرك من أكبر الأسباب المهلكة للإنسان في الدنيا والآخرة، وأهلك الله تعالى الأمم، الكتب الإلهية كلها، التوراة والإنجيل كتب منزلة من عند الله، والأنبياء الذين أتوا بها، إنما هم رسول الله، أمروا الناس بالتوحيد كما أخبر الله: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}.
- فجميع الرسل -صلوات الله عليهم- متفقون من أولهم إلى آخرهم إلى دعوة الناس، بأن يوحدوه، وأن لا يشركوا معه غيره، قال الله عن كثير من الرسل: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً}، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، ذكر الله عن يوسف قال: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ}.

## الرسل اهتموا بالألوهية أكثر من الريوبية:

- فجميع الأنبياء موحدون، ودعوا أقوامهم إلى التوحيد وألا يتخدوا مع الله إلهًا آخر، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِنَّا فَاعْبُدُونَ}.
- مما أرسل الله رسولًا إلا أوحى الله إليه أن يأمر قومه، أنه لا إله إلا هو، ولذا هلاك الأمم فيما أخبر الله في مساحة واسعة من كتابه، بسبب إصرارهم على الشرك، وكفرهم بالله.
- ذكر الله ذلك عن أقوام عده: من قوم نوح، وقوم عاد، وقوم ثمود وغيرهم من الأمم، وهكذا أهلك الله قريشا، فأبعث إليهم مجاهدين من الصحابة الفاتحين، فأبادوهم، وسلب الله جahem وملتهم، وأورثها لعباده الموحدين، وفق سنة الله لا تتغير ولا تتبدل.

## آثار التوحيد والشرك:

• التوحيد يُجمّع الإنسان، ويرفعه، ويقربه للمولى، والشرك يشتبه، ويضعفه، وينزله، ولذا قال الله :{وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيقٍ}، "مكان سحيق": بعيد.

- فالشرك هبوط ونزول، وأول شيء في النزول، نزول قيمة الإنسان، والغلو في الإنسان الآخر، نزول وهبوط للمعبد، وغلو في المعبود، تماما كما ذكر الله في القرآن، الظلمات مسبوقة "في الظلمات"، وقبل "النور"، "على".

## آثار التوحيد والشرك:

- فالموحد صاحب النور مرتفع وعالٍ، ينظر للبشرية ويعرف سنن الله تعالى في الكون، وعرف ذلك بالكتاب، ومغلق مغموس في الظلمات، قريحته، عقله، وفطرته مغلقة مسدودة.

والعجب أن أهل الشرك الذين يشركون بالله كما أخبر الله عنهم لا سلطان لهم ولا حجة لهم، كما قال الله تعالى: {أَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}، فليس عنده شبهات فضلاً عن حجج وبيانات، إنما هي الخرافات، والترهات، وعلى أحسن الأحوال حكايات يقصّونها ويحكونها عن الآباء والأجداد، ومتبعون من غير فهم، وإنما هو تقليد أعمى، آبائية، وجاهلية فيها بُعد عن الله.

## من شبّهات المشركين في اتخاذ الوسائط:

• الذين يعبدون الأصنام مقررون أن الله الخالق، وأن الله الرازق، وأن الله المدبر، ويفعلون هذه الأشياء مع اعترافهم قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، حتى يكونوا شفعاء لنا عند الله، وسائط بيننا وبين الله.

- يقولون: نحن عصاة ونحن لا نستحق أن نعبد الله مباشرة، عقدة الذنب، فنعبد غيره ليقربنا إلى الله، هل المسلم، أو أي إنسان ليس بمسلم بحاجة إلى وساطة بينه وبين الله؟! لا.

- لذا الله لما ذكر فيما هو من خصائصه وهو الدعاء، قال الله: {وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي}، قال بعدها مباشرة: {أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، أما الأحكام، فقال: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ}، أي قل يا محمد عليهما السلام، {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيطِ قُلْ هُوَ أَذْنِي}، أي قل يا محمد عليهما السلام.

## من شبّهات المشركين في اتخاذ الوسائل:

- فالناس بحاجة للأنباء، لبيان الأحكام، أما فيما هو خاص في الدعاء ليسوا بحاجة لأحد، إنما هم بحاجة إلى الله، ليسوا بحاجة للوسائل بينهم وبين الله.
- لذا الله قطع موضوع الشفاعة، ولو تتبع الشفاعة في القرآن، أغلب ذكر الشفاعة في القرآن مذكورة بالنفي، لأن الله، قال:{قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}، فهذه الوسائل باطلة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان.
- فأنت لست بحاجة لأن تتخذ غيرك وسيلة بينك وبين الله، وإن كنت مذنباً، وإن كنت عاصياً افزع إلى ربك:{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ}، الكفار قاسوا أن الملك له خاصية الشفاعة، الملك له خاصية، لا يعرف الناس، لا يعرف الغير، ومن هو المحتاج!، أحياناً الملك يشفع لبعض الناس حفاظاً عليهم حتى يبقوا من جنده، الله غني، والله عالم كل شيء، فليس هنالك واسطة أنت تتخذ في الدنيا من يشفع لك ويرفق قلبك عليك، أما الله، فليس بحاجة لذلك.

## من شبّهات المشركين في اتخاذ الوسائل:

• **الشفاعة في الدنيا:** مدارها إما على جاه، وأما على محبة، أما عند الله، فالأمر إليه، {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}، الشفاعة لله.

- **الشافع يُحدّ له حدًّا**، والشافع يفعل أمراً أمره الله تعالى به، في عرصات يوم القيمة لما يشتد هول القيمة يسجد النبي ﷺ سجدة، ويُلهم ثناءً يثنى به على الله ما أثني من قبل عليه أحد، يقول الله تعالى:- "قُلْ يَا مُحَمَّدَ، سَلْ تُعْطَى وَاسْفَعْ تُشْفَعْ"، "سَلْ" فعل أمر، "واسفع" فعل أمر، والشافع هو الله، يأمر نبيه، سل تعطى أنت اشفع.

- **لذا ابن القيم** له عبارة عجيبة عن الشفاعة يقول: "فحقيقة الحال أن الله شفع من نفسه إلى نفسه"، الأمر إلى الله، الشفاعة لله وهي بإذنه، {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}، فلا يوجد وسائل حتى نتخدّهم آلهة، وهذه حجة المشركين بالله شرك في الألوهية، حجتهم الشفاء والوسائل، وأنهم ليسوا أهلاً للعبادة مباشرة، وهذا كلّه من أبطل الباطل.

## أصل الشرك في المحبة والعبادة:

• الشرك المحبة، أن تحب غير الله كحبك لله، وأصل العبادة المحبة، ومعنى العبادة: تمام محبة مع تمام الذل، نحب الله ونحب رسوله ﷺ، وحباً لله ليس كحبنا لرسوله ﷺ.

- الذي يُحب لذاته هو الله لا غير، وحباً لنبيه ﷺ فرع كبير من حبنا لله، حبنا لله يقتضي أن نَذِلَّ بين يديه، حبنا لرسوله لا يقتضي ذلك، ولذا العبادة لا تكون إلا لله، حاصل شرك المشركين تسوية الله بغيره في العبادة، {تَالَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ \* فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ \* وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ \* فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.

- يتحسرون في وقت لا ينفع فيه الحسرة، فهم عرفوا أنهم مشركون وليسوا بمؤمنين، لأنهم يسوزون من يحبون من الشركاء مع الله في المحبة، قلت لكم أن العبادة كالطير، جسم الطير المحبة، جناح رجاء، وجناح خوف من الله.

## أصل الشرك في المحبة والعبادة:

- من كانت المحبة هي القائد له في الطاعة والعبادة: فهذه تحرك القلب، وحركة القلب تبقى إلى يوم الدين، لذا المؤمن إذا دخل الجنة لا تزول المحبة، لكن لما يدخل الجنة، الخوف والرجاء ينقطع، {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَثُونَ}، لا يوجد خوف في الجنة، ولا يوجد رجاء تدخل الجنة، أنت في الجنة.
- لذا العبادة ثلاثة أشياء: (محبة وخوف ورجاء)، من عبد الله بالمحبة لا ينقطع، لو أنك تأملت السر في قول الله لنبيه ﷺ: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ}، الإنسان لما يقول لآخر إذا فرغت من العمل ارتاح، لكن الله قال للنبي ﷺ: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ}، ما هو السر؟ لأن النبي ﷺ الذي يقوده في طاعته لربه المحبة، الأجير إن جعلته يعمل رغباً أو رهباً يتعب، أما من كان يعمل عندك محبة، فالمحبة تذهب التعب.
- فالمحبة هي أصل العبادة، وهي أصل الشرك: فالموحد يحب الله ويوجه قلبه إلى الله محبة في تعظيم أمره، وفي فعل الطاعات، والمشاركة يتعب تعباً شديداً، لكن لا يقدر أن يعبد الله، لأن المحبة غير حاصلة، فالمحبة مدار العبادة، ومدار الشرك على المحبة، المحبة تحصيلاً لله، والمحبة نفياً عن الله، أو قد تكون موجودة لكن يشرك غيره معه فيها.

## أصل الشرك في المحبة والعبادة:

- قال الله : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} ، الآية على ظاهرها، وهذا هو الراجح، وهذا الذي اختاره الشارح -رحمه الله- أن المشركين يحبون الله، لكنهم يشركون في المحبة غيره معه.
- فمحبة المؤمنين خالصة لله، ومحبة المشركين غير خالصة لله، فيها شرك مع الله سبحانه، قال:{وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِّلَّهِ} أشد حباً من المشركين، فالشركون يحبون، ولكن حب غير خالص لله.
- قال المصنف: "هذا على أصح القولين" ، وهذا يشير إلى أن هنالك قول آخر في تفسير الآية، {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}.
- على القول الثاني أي: يحبون أصنامهم كما يحب الموحدون الله، فهم على القول الثاني لا يحبون الله أبداً، وإنما يحبون أصنامهم حب المؤمنين لله، والراجح القول الذي اختاره المصنف أي: أن المشركين يحبون الله، فالمحبة ليست منافية عنهم بالكلية، ولكنها غير خالصة لله، وفيها شرك مع الله.

## أصل الشرك في المحبة والعبادة:

• والذي جعله يرجح هذا، أن الأصل في العربية ألا يُقدر شيء مخدوف كما في القول الثاني، ثم القرآن، والأدلة الأخرى، ومنها قول الله : {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}، فهم يحبون، ولكنهم يعدلون أي: يسّرون، فأنت تفهم الآية بناء على ما ورد في معناها، فهناك قرائن تثبت أن الكفار يعدلون، يسّرون في المحبة والعبودية، يسّرون غير الله بالله.

- والآية واضحة، {تَالَّهُ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* إِذْ نُسَوِّيْكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، يسّرونهم برب العالمين ليس في الخلق، ولا في الإيجاد، وإنما يسّرونهم في المحبة، والعبادة.

• ولذا المحبة هي الأصل في العبادة، قالوا: إنما كانت هذه التسوية بينهم وبينه تعالى في المحبة والعبادة، فمن أحب غير الله وخافه ورجاه وذلّ له، كما يحب الله ويخافه ويرجوه، فهذا هو الشرك، وهذا هو الرغبة والرهبة الذي نوهت بها في كلامي السابق، فأين التوحيد والذل لغير الله، والخضوع لغير الله، تمام المحبة وتمام الذل وهي العبادة صرفت لغير الله.

## أصل الشرك في المحبة والعبادة:

• حقيقة العبد مما يعظم، إن عظمت الله وقدمت أمره على كل أمر، واستجبت له، فأنت الفالح المفلح، وإنما فانت الهالك، أول أمر أمر الله تعالى به في القرآن قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}، وأول نهي نهى الله تعالى به في القرآن: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

- أول أمر بالعبادة والطاعة وإخلاص العبادة لله، وأول نهي أن تتخذ مع الله أندادا، وكل العبادات التي تقوم بها، والتي تحرك بها قلبك، إنما هي من أجل تعظيم الله، صلاتك، صيامك، حجتك، زكاتك، كلها تحرك القلب لإفراد الله في طاعته، ذكرك لربك، لذا أحسن الذكر في الدنيا: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، "خَيْرٌ مَا قُلْتَ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ" من قبله: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" ، وهو خير ما يقوله الحاج.

- أما بعد الموت أحسن ذكر الله، "الحمد لله" ، الحمد لله بعد الوفاة أحسن من "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" ، لأنها هي جزاء "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" لذا عندما نصلي على الميت، نصلي عليه بقولنا "الحمد لله رب العالمين" ، يُكره دعاء الاستفتاح في صلاة الجنازة، وأهل الجنـة وهم في الجنـة، {وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، الآخرة: الحمد، وفي الدنيا: التوحيد "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ" ، وهو على كل شيء قادر.

## إن من الشعر لحكمة:

- وواعجاً كيف يعصى الإله... ألم كيف يجحده الجاحد.
- والله في كل تحريكه... وتسكينة أبداً شاهد.
- وفي كل شيء له آية... تدل على أنه واحد.

• هذه الأبيات اختلف الأدباء من قالها، فمنهم قال أنها (لأبن المعتر)، ومنهم من قال أنها (لأبي العتاهية)، ومنهم قال أنها (لأبي نواس)، وابن كثير ذكر في (البداية والنهاية) أن أبو نواس رأى البيت الأول والثالث، فسأل: لمن من هذه الأبيات الثلاثة؟ قال: قالها أبو العتاهية.

- فالظاهر أن الأول والثالث لأبي العتاهية، والثاني لأبي نواس، والظاهر من هذه القصة أن الأبيات لأبي العتاهية ولأبي النواس، وصدق الشاعر، وقول النبي ﷺ: "إن من الشعر لحكمة"، ومن حكمة الشاعر قوله: "وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد"، فالله واحد، والآيات الدالة على أنه واحد قسمان: آيات مسطورة، وآيات منظورة، والآيات المسطورة: في كتاب الله، والآيات المنظورة: خلقه، فهذا الخلق بالتدبر، الذي يتدارس هذا الخلق يعلم أن الله جل في علاه هو إله واحد، ونفي التوحيد عن الله شرك ربوبية.

## من أصناف الشرك:

- الشرك به تعالى في الربوبية كشرك من جعل معه خالقاً آخر كالمجوس"، المجنوس أصناف، يعبدون النار ويعتقدون أن هذه النار لها سر لطيف في حجب الله عن خلقه، يعني أنهم يعبدون النار لأنها لها سر تحجب الله جل في علاه عن خلقه.
- وأشباه ما يكون اليوم من عباد النار (الزرادشتية) وهم موجودون في إيران، وفي بعض أماكن في إفريقيا، فهؤلاء يعتقدون أن للعالم ربّين: رب الخير يقولون له باللسان الفارسي: (يزدان)، والناظر في صفة يزدان في دينهم وكأنه الله، وخالق آخر للشر ويقولون له بلسان المجنوس: (أهرمن)، والناظر في صفات أهرمن في لسانهم كأنه شيطان.
- هؤلاء مشركون، لأنهم نسبوا الشر لله، كالمعتزلة لما قالوا الخير يخلق الله، والشر يخلق العبد، فهؤلاء المجنوس، النوع الأول لماذا قلنا أنهم مشركون شرك ربوبية؟ لأنهم يعتقدون أن الله ليس واحداً، أن الله جل في علاه أكثر من واحد، وهذا هو شرك الربوبية.

## من أصناف الشرك:

- وكالفلسفه ومن تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط، وأن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والآنفوس، وأن مصدر هذا العالم عن العقل الفعال، فهو رب كل ما تحته ومدبره.
- وهذا شر من شرك عباد الأصنام والمجوس والنصارى، وهو أثبت شرك في العالم؛ إذ يتضمن من التعطيل وجحد إلهيته - سبحانه - وربوبيته، واستناد الخلق إلى غيره - سبحانه - ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم.

## آثار الفلسفة وحكم العلماء عليها:

- ومن اشغل بالفلسفة ضر ذلك العقيدة التي يحملها، لذا كان يقول الإمام الشافعي: " حكمي على أهل الكلام - أهل الفلسفة - أن يطاف بهم في الوديان وأن يرموا بالحجارة ويقال: هذا جزاء من أعرض عن كتاب الله واشتغل بعلم الكلام ". -
- وكان أبو يوسف يقول: العلم بعلم الكلام جهل، والجهل به علم. -

## أنواع الفلسفه:

- الفلسفه نبتو في اليونان، وكان ذلك قبل نحو خمسهئه سنة من بعثة عيسى -عليه السلام-، وسبب بلاء الفلسفه، أنهم يعتمدون على الغيبيات بعقولهم، يتكلمون بعقولهم، الفلسفه أقسام:
  - فلاسفه ملحدون.
  - فلاسفه وجوديون.
  - فلاسفه متألهة.
- والذى ذكره الشارح عن الفلسفه المتألهة، الفلسفه الملحدون يعتقدون أن أصل المادة الماء والهواء، وما يسمى في علم الكلام الجوهر والعرض، ويقولون أن هذه الذرات ما زالت تتصادم حتى وجد هذا الكون، وقول هؤلاء الفلسفه الملحدين كقول أهل المادة في هذه الأيام من أن العالم خلق صدفة، وأنه لا رب للكون، هذا ملحد كافر، خارج من الملة، والمصنف لا يعنيه هذا الصنف.
- هناك صنف آخر يسمونهم الفلسفه الرواقية، وهم الوجوديون من الفلسفه وهؤلاء يقولون أن أصل المادة أزلية، هذا الكون أزلي وليس له خالق، وهناك إشعاعات تشع من ذرات هذا الكون، وهذه الإشعاعات هي القوة الإلهية، ويررون أن الله هو هذا الكون، هؤلاء الفلسفه الوجوديون لا يفرقون بين الله وبين المخلوقات، وهو أصل ضلال أصحاب وحدة الوجود.

## أنواع الفلسفه:

- أصحاب وحدة الوجود: يقولون كل ما تراه هو الله!، لذا تجرأ بعضهم، فأنكر على الأنبياء أنهم أنكروا على عباد الأصنام، فقالوا: عابد الصنم لا يعبد الصنم، إنما يعبد الله الذي في الصنم، هؤلاء هم أصحاب وحدة الوجود، أصل فكرة وحدة الوجود مأخوذة من الفلسفة الرواقية.
- وكذلك المصنف -رحمه الله تعالى- لا يريد هذا الصنف من الفلسفة، يريد الصنف الثالث من الفلسفة وهي الفلسفة المؤلهة، وأشهر هؤلاء: سocrates، ثم تلميذه أفلاطون، ثم تلميذه أرسطو، هؤلاء محظى عناء شيخ الإسلام في الرد عليهم، شيخ الإسلام أتعب الناس، غفر الله لنا ولهم، ورحمه الله، رد على الملحدين، ورد على الفلسفه، ورد على اليهود، ورد على النصارى، ورد على الشيعة، ورد على الأشاعرة، لذا لا يمكن لأحد أن يتتجاوز شيخ الإسلام، لم يترك صاحب فكر، سواء كان في محيط الديانات، أو خارجها إلا ودرسه وقتله بحثاً -رحمه الله تعالى-، فهؤلاء يعتقدون أن هنالك إله قديم، أزلي، بسيط بمعنى غير مركب، خير، عادل، عاقل.

## أنواع الفلسفه:

- ولكن هذا الكون كله صدر عنه، وهذا الكون الذي صدر عن هذا الإله يسمونه هؤلاء الفلسفه المؤلهة: العقل المدبر، وهؤلاء عندهم مشكلة في علاقه الصفات بالذات، وهذه مشكلة تسلسل الحوادث، التي ذكرها شيخ الإسلام، وتحتاج لبساط.
- وهؤلاء يعتقدون بوجود إله، وهذا الإله صدر عن إله قبله، والذي قبله صدر عن الذي قبله، يعدون عشرة عقول ، كل عقل أوجد عقلاً آخر، حتى يفروا من موضوع أنه أزلي وأنه خالق، فقالوا: الإله خلق إلهاً قبله والذي قبله خلق الذي قبله.
- تسلسل الحوادث، أن تعتقد أن صفة الخلق عن الله ما تعطلت، وأن الله موجود، وقدر على الإيجاد قبل أن يوجد الخلق، هذا هو تسلسل الحوادث، وهذه الفلسفه فلسفة المؤلهة، هي أصل لمن عَطَّل صفات الله، قال أهل العلم: "من شبَّهَ الله فقد عبد صنماً، أي من شبَّهَ الله بخلقه في الأسماء والصفات فقد عبد صنماً، ومن عَطَّل صفات الله كلها فقد عبد عدماً"، لأن الذات لابد لها من صفات، والذات دون الصفات موجودة في داخل العقل، ولا توجد خارج الذهن.
- فأصل المعطلة قامت الفلسفه المؤلهة، قامت على سocrates، وتلميذه أفلاطون، وتلميذه أرسطو، هؤلاء يعتقدون أن الخالق ليس واحداً، الذي يسمى بالعقل المدبر، وإنما هذا الإله أوجده عقل مدبر آخر، ثم عقل مدبر آخر وهكذا.

## التوحيد عند الكافرين والمشركين:

- الموحدون الذين لهم بقايا لـلآن من اليهود والنصارى وهم موحدون لا يعتقدون إلا إلهًا واحدًا، هؤلاء مشركون شرك ربوبية؟ لا.

- وهناك موحدون، الموحدون توحيد النصارى (الأريسيون)، لذا النبي ﷺ كان يعرف ما حوله من الأديان، ويعرفها تعريفاً مفصلاً، لأنَّه سيد الموحدين.

- وذكرنا أنَّ الأصل في المسلم أنَّه يُعرف الحق والباطل، ويطلب الحق ليفعله، والباطل ليحذر منه.

- فورد في صحيح البخاري أنَّ النبي ﷺ لما كتب إلى هرقل عظيم الروم قال: "أَسْلِمْ تَسْلِمْ، وَإِلَّا فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِينْ"، الأريسيون: هم الموحدون في زمان رسول الله ﷺ، الأريسيون موحدون هم الذين كانوا يتلقّمون الحق، وكان في زمان النبي ﷺ من المشركين أيضًا موحدين، على أتباع ملة إبراهيم، اليوم يوجد في اليهود موحدين، (السامريون) في جهات نابلس، السامريون لهم توراة مطبوعة بالعربية وبالعبرية، وأصولها ما زالت محفوظة، وهؤلاء موحدون.

## التوحيد عند الكافرين والمشركين:

- فالموحد: الذي يعتقد أن الله واحد، وعلى رأس هؤلاء أهل الكتاب، فهو لا يقال أنهم كفار كفر ربوبية، لكن الغالب على أهل الكتاب الآن ليسوا كذلك، هؤلاء بقايا، وهؤلاء قلة، (السّمرة، والحريديون)، سئل عن (السّمرة) عدد كبير من العلماء قديماً، ووقفت على مخطوط في أجوبة عدّ كبير من العلماء، وقد تكلموا عنهم، عقيدة النصارى اليوم.
- لابد أن نلم به حتى نوجه كلامنا أن النصارى ليسوا موحدين، النصارى يعتقدون بالتلثيّة، ويررون أن الإله مكون من ثلاثة أشياء وهي: ثلاثة أقاليم في ذات واحد.
- **الأقاليم الثلاثة:** (الأب، والابن، وروح القدس)، وهم يؤمنون بثلاثة ذوات ويقولون: هؤلاء ثلاثة في ذات واحدة، قالوا الأب: هو الذي يوجد ويخلق، والابن: هو الذي فدى نفسه، وعليه الحساب، وهو الذي يحاسب الخلق يوم القيمة، الذي يحاسب غير الذي خلق، الذي خلق هو الأب، والابن هو الذي فدى نفسه، وهو الذي يحاسب الناس يوم القيمة، وروح القدس: هو الذي ينصر ويعز ويذل، هذا معتقد النصارى بالجملة، فمعتقد النصارى بالجملة أنه يوجد ثلاثة آلهة تخص حال الإنسان.